

مفاهيم القرآن

(32) * الأَشَاعِرَةُ وَالتَّكْلِيفُ بِمَا لَا يَطَاقُ ذَهَبُ لَفِيفٍ مِنْ مَتَكَلِّمِي الْإِسْلَامِ - وَ لِلآسَفِ الشَّدِيدِ - إِلَى جَوَازِ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يَطَاقُ، وَلَمْ يُصْغَوْا لِنِدَاءِ الْعَقْلِ وَلَا الشَّرْعِ، بَلْ أَهَالُوا التَّرَابَ عَلَى فِطْرَتِهِمُ الْقَاضِيَةَ بِعَدَمِ صِحَّةِ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يَطَاقُ. وَقَدْ اتَّخَذُوا طَوَاهِرَ بَعْضِ الْآيَاتِ ذَرِيعَةً لِعَقِيدَتِهِمْ فِي هَذَا الْمَجَالِ، وَ هَا نَحْنُ نَسْتَعْرِضُ تِلْكَ الْآيَاتِ وَنناقِشُهَا كَيْ يَتَجَلَّى الْحَقُّ. 1. (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ). (1) استدل الإمام أبو الحسن الأشعري (260_324هـ) على أنَّهُم كَانُوا مَكَلِّفِينَ بِالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ وَمَعَ ذَلِكَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ، فَدَلَّ عَلَى جَوَازِ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يَطَاقُ. وَهَذَا الْاِسْتِدْلَالُ يَتَبَدَّدُ بِالتَّوْضِيحِ التَّالِي: وَهُوَ أَنََّّهُمْ وَإِنْ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا عَاجِزِينَ عَنْهُمَا لَكِنْ ذَلِكَ الْعِزْلُ لَمْ يَكُنْ مَقْرُونًا بِهِمْ مِنْذُ بُلُوغِهِمْ وَتَكْلِيفِهِمْ، وَإِنَّ مَا أَدَّى بِهِمُ التَّمَادِي فِي الْمَعْصِيَةِ إِلَى أَنْ صَارُوا فَاقِدِينَ لِلْسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ، فَقَدْ سُلِّمَتْ عَنْهُمْ هَذِهِ النِّعْمُ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ نَتِيجَةَ الذُّنُوبِ الَّتِي اقْتَرَفُوهَا، فَكَانَ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، وَأَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّوْهُمُ

(1) هود: 19_20.